صربيا

تعلن مصر للطيران عن وصول رحلتها رقم 544 الى مطار العاصمه بلجراد قادمه من القاهره والكابتن حسام شفيق يتمنى لكم أقامه سعيده فى صربيا وعلى جميع الركاب ربط الاحزمه والاستعداد للهبوط.
طافت هدى السباعى ببصرها فى ارجاء الدرجه السياحيه داخل الطائره لعلها تجد واحده من المتسابقات اللاتى اشتركنا معها فى الامتحان الذى أجتازته بالقاهره فى مسابقه الدوره التدريبيه لاعداد مراسلين جدد حول العالم والذى نظمته منظمه المراسلين الاحرار , وشعرت هدى بالنشوه والفخر عندما تذكرت لحظه اعلان النتيجه وسماع اسمها ضمن الناجحين. وهمست فى سرها .....طبعا انا خريجه أعلام قسم صحافه ومن اوائل دفعتى..... علاوه على أجادتى اللغه ألانجليزيه ....والفرنسيه بطلاقه , وفيما هى تتأهب للنزول لمحت عبير البدرى فصاحت بصوتا عالى .....عبير .....عبير والتى بدورها جالت ببصرها لتحدد مصدر الصوت ....فلمحت هدى فأشرت بيدها اليسرى وهى تحمل حقيبتها بيدها الاخرى
وقالت.....هاى .....هاى هدى حبيبتى .....انا بدور على اى حد اعرفه..... رائع انى عثرت عليك , وبعد الاحضان وقبلات الترحيب المعتاده نزلا سويا من الطائره وأستقلا الباص ومن داخل الباص اذا بصوت جهورى يصيح.....ياولاد الايه.....انتم معى على الرحله ولم اراكم.....وصاحت هدى مش معقول.....مدام سلمى مظهر وعلقت عبير.....ما احلى الصدف

السعيده . وتبادلا القبلات والتحيات وصاحت مدام سلمى .... أتا فعلا فى منتهى السعاده انى التقيت بكما ثم اضافت كانت الدوره سوف تكون مملة من دونكما, واستكملت حديثها وقالت..... مش عارفه ليه أختاروا صربيا مكان لاقامه الدوره فردت عبير ..... كان نفسى تكون فى باريس أو لندن وضحكت هدى بصوت عالى وقالت..... كنا عملنا شوبينج بجانب الدوره فردت سلمى..... أو كانت فى فيينا وكنا حنغنى ليالى الانس فى فيينا وضحكوا الثلاثه على قفشه مدام سلمى.

وصل الباص الى صاله مطار بلجراد واستقلوا باص اخر خارج المطار الى فندق الاقامه وكان معهم على الباص وفود اخرى من الشباب كلهم من جنسيات عربيه. وقد علقت هدى على ذلك كله عرب وقالت عبير كان نفسى يكون معنا اجانب وضحكت سلمى بصوت مرتفع وقالت انتم اكيد بدوروا على عرسان.
وانطلق الباص يقطع شوارع بلجراد النظيفه ولكن الناس متجهمين وقالت هدى فى سرها ..... مفيش حد عجبه حاله. ووصل الباص الى الفندق وكان فخم جدا وانطلقت كل مجموعه الى غرفها واجتمعت هدى وعبير وسلمى فى غرفه واحده بناء على طلبهم.

بعد ذلك نزاوا الى صاله الطعام حبث كان هناك (اوبن بوفيه) وتجمع الشباب حوله وهم فى غايه الشغف الى الطعام فقد مضى وقت ليس بقصير على تناول أخر وجبه لهم على الطائره وكانت أنواع الاطعمه المقدمه تغرى الجمع على التهام الطعام بقسوه وبلارحمه .

وبعد انتهاء الجمع من تناول الطعام أختلط الجميع أكثر من مائه شاب وفتاه للتعرف وكان هناك واحد وعشرون شاب وفتاه من مصر. واندمجت عبير وسلمى بشكل مبالغ فيه فى اظهار الصحبه والصداقه للجميع وقطع هذا الالتحام مرور مندوب من المنظمه تولى تعريفهم بنفسه وقد رحب بالحاضرين,
وقال.....لقد تم اختياركم بعنايه ولانكم فعلا مميزون . واضاف.....بانه سوف يتم تدريبكم وصقلكم .....على يد خبراء مؤهلين ...وبارعين فى اداء عملهم ....لتخريج دفعه مميزه منكم..... للعمل كمراسلين .....وصحافيين , وامامكم فرصه للاستفاده من تلك الفرصه . وبعد ذلك قام بتوزيع مبلغ 400يورو لكل مشترك .

فى البوم التالى بدأت الدوره الصباحيه وجلست الفتيات الثلاثه هدى وعبير وسلمى متجاورين ودخل محاضر وكان شاب من حيفا ويقترب من الثلاثين من عمره او يزيد قليلا وهو من عرب فلسطين وكان يتكلم باللغه العربيه الفصحى وعرف نفسه بأسم زياد , وفى اثناء ذلك كان الحاضرون يتهامسون فيما بينهم وقالت عبير بصوت خافت.....الواد امور يستاهل انى اسافر الى صربيا من اجله.....وقالت فتاه تونسيه.....برشا.....برشا

واضافت فتاه من الخليج.....جميل مره .

ولكن فتاه عراقيه اعترضت وقالت.....مو حلو.....!

واستمرت التعليقات والهمسات بين الحاضرين وقطع هذا الضجيج صوت المحاضر (زياد) وهو يصرخ بأنفعال .....كفى.....كفى....كفى ضوضاء ولا اريد اسمع صوت مره اخرى بالقاعه.....ثم اضاف.....انتم هنا من أجل العمل , وليس من أجل اى شئ اَخر. وكان يتكلم بعصبيه زائده وساد على اثارها صمت مخيف شمل كل أرجاء القاعه ولم يعد يعد أحد يسمع سوى دقات قلبه.

وعاد زياد يستأنف حديثه قائلا.....انتم شباب واعد ويجب أن تعرفوا أن أوطانكم فى انتظاركم , فأنتم امالهم .....ونحن هنا من اجل أعدادكم لدوره فى العمل الصحفى..... ونحن منظمه للمراسلين الاحرار حول العالم . ننشر فكر حر..... فكر الحريه.....والعداله.....وكرامه الانسان فى وطنه .

ونؤمن أن للشعوب حقها فى التعبير الحر عن رأيها بلا عائق .....او مانع.....او حجر على الصوت الحر.

ثم هدء قليلا واستأنف حديثه بهدوء وثقه وقال.....أن العمل الصحفى له شقين.

الشق الاول هو شق الراى او شق صناعه الحدث وهو ممكن يكون من الواقع او من الخيال.

الشق الثانى وهو نقل الحدث وكيف نصنع منه الصوره التى نبغها وتعبير عن اهدافنا وقناعتنا .واسترد يكمل حديثه وقال.....انتم تعيشون فى أوطان مسلوبه من حكامها وهم حكام طغاه ينهبون خيرات شعوبهم .....هم .....واولادهم.....وحاشيتهم . ويحجبون الحقيقه عن شعوبهم.....ويصادرون الحقيقه لانفسهم . فهم دائما على صواب ! والاخرين على خطأ ...!
ويسحقون كلا من يحاول أن يكشف الحقيقه أو يفضح فسادهم .....وطغيانهم .
السجن والاعتقال ....التعذيب والقتل .....مصير كل من يحاول أو حتى يفكر. لان التفكير ممنوع ومحظور وقاصر فقط على الحكام وليس الشعب.
لكن الامل فيكم انتم فانتم النار التى سوف تحرق عروشهم وتهلك اصنامهم وتنزع تيجانهم .
ثم اضاف وهو فى قمه حماسه .....انتم محظوظون لانكم هنا فى صربيا ثم كررها مره اخرى .....فى صربيا أرض النضال .....حيث نجح شبابها فى القضاء على الحاكم الطاغيه بسلوبودان ميلو شيفيتش .....هو ومن معه من حاشيه فاسده الذين كانوا يحكمون البلاد بالحديد والنار.
صمت زياد قليلا ثم قال..... انتم سوف تدرسون تجربه هؤلاء الشباب وسوف تتدربون على طرق المقاومه السلبيه والتى اتبعها هؤلاء الفتيه للقضاء على الطاغيه وأعوانه ونجحوا فى تحريك الشارع كله خلفهم . بل نجحوا فى انضمام مؤسسات الدوله .....من الشرطه وقضاء.....واعلام..... حتى الجيش انضم لهم ومن كان فى صفوفه.....انقلب عليه . ونزل الشعب فى الشوارع بالملايين .

هناك ملحوظه هامه يجب ان اصرح لكم بها هم لم يصنعوا هذا من فراغ ولكنهم سبقوا وتدربوا على يد خبرائنا ووفرنا لهم المال والحمايه الدوليه..... والخبرات الفنيه والدعم قبل ... واثناء الثوره ... والتأيد العالمى والاعتراف بالثوره .....والثوار بعد انتهاء الثوره . بل كان هناك تدخل دولى من الامم المتحده .....ومحكمه العدل الدوليه لمحاكمه الرئيس الطاغيه .

انهى المحاضر (زياد) كلمته بتوجيه الشكر للحاضرين, وساد يعدها صمت مخيف بالقاعه والجميع يتفرسون وجوه بعضهم البعض ويدور فى عقل كلا منهم الاف الاسئله . ولكم لم يتجرأ احد منهم الافصاح عما يدور فى عقله .....ولا مخاوفه من حديث المحاضر .

انصرف الجمع الى قاعه الطعام حيث اعدت لهم وليمه فاخره ورائحه الشواء تغمر المكان بينما عمرت المناضد بأصناف الاطعمه الفاخره والمتنوعه .وصاحت عبير.....وتبعتها سلمى.....هو ده الكلام .....الان حان وقت التهام الطعام بلا توقف وبلا رحمه .....وبلا خجل وقالت هدى .....سوف نبدأ بالجمبرى .....احتراما له وضحكا الاثنان على قفشتهما .
اما هدى فقد انزوت بعيدا عنهما ولم تشاركهما المرح والضحك ولم تقترب من الطعام ونظرت لهما وقالت سوف أذهب الى القاعه وانصرفت خارج الفندق حيث كانت تشغر بضيق شديد وحاله سيئه لم تعهدها من قبل . وبمجرد خروجها من نطاق الفندق شعرت بالهواء المنعش والنقى يملاء رئاتيها فشعرت براحه وهدوء . وسارت فى الطريف ولم تشعر الا بأصوات السيارات تطلق نفيرها محذره لها وبأضواء المدينه تنعكس على وجهها , واتجهت الى مطعم صغير لانها احست بالجوع فجاءه ,فتناولت وجبه خفيفه ورخيصه ثم همت عائده الى الفندق.

ظلت هدى طول الليل تصارع النوم الذى غاب عنها وظل الارق حليفها والاحلام بل قل الكوابيس المزعجه تحاصرها وتحجب عنها اى بصيص من النوم قد يداعب جفونها وظلت هكذا حتى بدأ اول شعاع من ضوء الصباح يتسلل لها من خلف الستار وعلى أثره هبت واقفه واتجهت الى مخدع عبير وهمست لها برقه.....عبير.....عبير استيقظى , ولم تستجيب عبير الى همساتها فتمدت هدى فى صياحها .....عبير.....عبير.....اسنيقظى فى عرضك.....فى موضوع هام اريد اتحدث معك.....وردت عبير والنوم يغلبها.....لسه الوقت باكر.....فردت هدى .....عبير احنا هنا بنشتغل جواسيس على

بلدنا. أثارت تلك الكلمه عبير فهبت واقفه وصاحت.....بتقولى جواسيس..!!! انت جبتى الكلام ده منين.....؟ . واستيقظت مدام سلمى على صياحهما وضجيجهما وقالت.....فى ايه يا بنات؟؟ عملين جلبه وضوضاء وصخب على الصبح ليه ؟.

فردت هدى.....الزفت زياد ومحاضرته الشئوم واللى بيقول.....اننا يجب ان نثور على حكامنا.....واننا هنا بنتدرب لاعدادنا للقيام بثوره شعبيه على غرار ثوره صربيا واننا سوف نمتدرب على يد خبراء لتعليمنا المقاومه السلبيه والحشد والشعبى وتحرك الشارع وانهم سوف يدربونا على أعداد التقارير وصناعه الحدث او فبركه الاحداث فى بلدنا وانهم سوف يدعمونا بالمال.....والدعم الدولى ...يعن بالعربى جواسيس.

صرخت عبير.....مراسلين يا هدى.....مش جواسيس وكل المراسلين فى العالم بيرسلوا تقارير... واحيانا بتكون التقارير مش على هوا الحكومات واى حاجه غلط فى بلدهم بيكتبوا بحريه عنها.

وردت سلمى.....انت مكبره الموضوع ليه .....ديه فرصه جاءت لنا نحن الثلاثه ولايمكن ان نتركها. وابدتها عبير وقالت .....انا هنا مستمره وليس من اجل مجرد أوهام.....وهواجس افقد اهم فرصه فى حياتى والتى يتمناها كل شاب وفتاه فى مصر. وانت شيفه الشباب مش لاقى اى فرصه عمل او بصيص من الامل.

انزعجت هدى بشده من ارائهم وقالت .....عموما انا سوف اعود الى مصر.....ولا يمكن ان أشارك فى تلك المهزله .....وايضا مش حسكت على بيحصل هنا.....ولازم السلطات المصريه تعرف حقيقه ما يحدث وما يحاك ضدها. وهنا همت هدى واقفه واتجهت الى الدولاب الخاص بها لتسحب ملابسها وتضعها فى حقيبتها . ثم قالت.....لازم أسترد جواز السفر الخاص بى.....انا رجعه مصر اليوم . كانت تتكلم بصوت مرتفع ....وبعصبيه شديده وأنهت حديثها وخرجت مسرعه واتجهت الى اداره الدوره وطرقت باب المدير.....وجاءها صوت هادى من خلف الباب.....اتفضل ادخل, ولم تنتظر هدى قليلا بل اندفعت الى داخل مكتب المدير حتى انها أحتكت بالمكتب الذى يجلس عليه مدير الدوره البروفسير /مازن كما يطلقون عليه .

ووقفت هدى أمامه بثبات وبجراءه تحسد عليها وقالت.....اريد العوده الى بلدى مصر.....واريد جواز السفر الخاص بى. ثم اخرجت من حقيبتها مبلغ من المال وقالت.....انا كمان اريد ان اعيد لكم المبلغ الذى منحتوه لى .....انا صرفت منه مبلغ عشرون يورو .....سوف اعيدهم لكم بمجرد عودتى الى مصر.

نظر لها البروفسير مازن من تحت نظارته الانيقه وقال بهدوء.....فى حد زعلك هنا ؟

واسترد بقول .....لو أى حد تعرض لك.....أو أساء لك فثقى تماما .....ان اداره الدوره سوف تتخذ أشد الاجراءات الرادعه والفوريه ضده. نحن هنا نحافظ عليكم كأبنائنا لانكم مهمين جدا بالنسبه لنا.

ردت هدى بعصبيه .....يا أستاذ مازن.....قيل لنا فى القاهره ان تلك الدوره للتدريب على العمل الصحفى.....والعمل كمراسلين حول العالم . ثم اضافت بسخريه.....وليس كجواسيس على بلدنا !. اليوم اسمع من محاضر الدوره أننا هنا من أجل الانقلاب على حكامنا.....والتأمر على بلدنا.....وأعدادنا للقيام بثورات ضد زعمائنا.....ونجهز للحشد الشعبى للقيام بثوره على غرار ما حدث فى صربيا. وان نقوم بأعداد تقارير وأرسلها بكم..... ولا أعرف من انتم.....؟؟؟.

بالعربى يا أستاذ مازن جواسيس .....وانا ارفض ان أكون جاسوسه أو متأمره على أهل بلدى.

وانهت هدى حديثها ووقفت تنتظر رد فعل مازن على حديثها وتوقعت ان يثور ويزائر ولكنه ظل صامت وفتح الخزنه التى خلفه وسحب جواز السفر الخاص بها وقدمه لها . وسحب المبلغ الذى منحته الدوره لها ووضعه فى الخزنه. ثم قال.....اى خدمات أخرى ؟ ولم ينتظر ردها وقال.....ممكن تقدرى تعودى الى بلدك .....فردت هدى بسرعه وبتحدى .....نعم سوف اعود الى بلدى وسوف اخبر السلطات المصريه بكل ما يحدث هنا. .....ضحك البروفسير مازن بصوت عالى وظل يضحك فتره ليست بقليله ثم قال.....على فكره نحن لاأحد يهددنا ....والسلطات المصريه اللى انت بتتكلمى عنها بتترعب منا.....لاننا اقوياء وأضيف اقوياء جدا والسلطات المصريه على علم بكل ما يحدث هنا وهم

لايستطيعواحتى مجرد الاعتراض.. فنحن أكبر منظمه حقوقيه فى العالم والامريكان يساندوننا .....والاتحاد الاوربى والامم المتحده فى صفنا.
بل داخل مصر نفسها هناك أفراد.....وهيئات.....وسياسيين واعلاميين بيعملوا معنا. وعلى فكره كل المشتركين هنا سوف يعودا الى بلادهم وسوف يصبحون وكلائنا.....وسوف ندعمهم ماديا بالمال واعنى هنا أموال ضخمه وسوف تغير حياتهم تماما وسوف يصبحون من نجوم المجتمع.....فى أوطانهم ....وفى نفس الوقت سوف نحميهم ولن يستطيع أى أحد ان يمسهم بسوء او حتى يقترب منهم . صم اضاف بسخريه ولا السلطات المصريه بتاعتك....!! . وكمان ممكن أن نمنحهم جوائزه عالميه من المتفوقين منهم وخاصه.....وصمت قليلا واكمل الذين ينفذوا تعليماتنا بدقه...وبراعه..... وبدون اى اعتراض.
وقد تصل الجائزه الى نوبل بجلاله قدرها وضحك بعدها مازن بصوت عالى لايخلوا من السخريه.

لم تصدق هدى أذونها وهى تسمع اعتراف كامل وصادق بالتأمر على بلادها وعلى الاوطان العربيه الاخرى من هذا الشيطان مدير الدوره وهو يتكلم بوقحه وبلاخجل وثقه تصل الى درجه البجاحه, وانهى مازن حديثه معها بقوله.....انتى معك تذكره سفر عوده وهى هديه مجانيه من الدوره .....بس رجاء ابعثى تحياتى للسلطات المصريه .....ومد سده لتوديعها ولكنها سحبت يدها واندفعت الى الخارج وصعدت الى غرفتها لتحمل حقائبها . وفكرت لحظه فى ان تحذر عبير وسلمى ولكنها تراجعت لان اخر حديث معهم يظهر مدى أصرارهم على المضى فى هذا الطريق.
وانطلقت متسلله من الفندق تريد ان تختفى من هذا المكان العفن وبأسرع وقت واستقلت سياره أجره الى المطار وعندما وصلت الى هناك أكتشفت انها يجب تأكيد الحجز على الطائره وبالفعل انطلقت الى مكتب مصر للطيران وكان مغلق وسألت أحد رجال الامن عن موعد عمل المكتب فأجاب بعد ثلاث ساعات.
انزوت هدى فى أحدى المقاعد تنتظر قدوم موظفى المكتب ومضت الساعات بطيئه وممله وكان عقلها يسترجع احداث الرحله المشئومه بكل تفاصيلها وهبت واقفه بمجرد ان طل أحد الموظفين من مكتب مصر للطيران وذهبت اليه فوراوقالت.....انا فى انتظاركم من وقت طويل.....انا اريد السفر الى القاهره.....فى اول رحله. ابتسم الموظف وقال.....بس اول رحله غدا فى الثامنه مساءا وردت هدبلا تردد.....خلاص احجز لى عليها.....وانا سوف انتظر فى المطار حتى موعد الرحله . فرد الموظف .....ممكن ترجعى حضرتك الى الفندق وغدا فى السادسه مساءا تتوجدى هنا, فردت هدى ببؤس.....ليس لدى فندق.....ولا مال لدى انا سوف انتظر هنا حتى موعد الطائره.
وهنا ظهرت الشهامه والاصاله المصريه وقال الموظف.....تفصلى ادخلى حضرتك المكتب ثم اضاف.....انت الان فى أرض مصريه .....وفى ضيافه مصر للطيران.ثم اتصل بفندق قريب وحجز لها غرفه واتصل بسياره أجره لنقلها الى الفندق وأبتسم مره اخرى وقال..... تفضاى اذهبى مع السائق الى الفندق وغرفتك مدفوعه (فول بورد) شامله الاقامه والطعام وممكن ايضا أستعمال الهاتف الدولى والاتصال بألاهل فى مصر. ثم اضاف.....حقائبك سوف تسبقك الى الفندق.

بكت هدى بحرقه وشعرت ان بلدها تحتضن اولادها فى الغربه ولا تتركهم فى العراء الى كلاب الشوارع ينهشون لحمها وقالت بصوت مرتفع.....تحيا مصر.....وعظيمه يا أم الدنيا .

أرتفعت طائره مصر للطيران فو ق سماء العاصمه بلجراد وطلت هدى من النافذه التى بجوار مقعدها بالطائره لتلقى النظره الاخيره على العاصمه بلجراد لدوله صربيا وهى تحمل ذكريات مؤلمه تخشى ان بستعيد عقلها سردها مره اخرى وظلت تردد فى سرها.....اريد ان انسى واطوى تلك الصفحه من حياتى . ولكن لن اصمت وسوف اسرد للسلطات المصريه بكل ما يحدث فى .....صربيا.
قالت هذا لتهدى من اعصابها المتوتره, ثم غفلت فى نوم عميق وظلت هكذا حتى أستيقظت على من يقول لها.....حمد الله على السلامه.....نحن الان فوق سماء القاهره.

ما احلى تلك الكلمه .....العوده الى الوطن. وأول كلمه وقع بصرها عليها عباره.....ادخلوها بسلام أمنين وعباره .....أهلا بكم فى مصر.
وبعد ذلك غادرت مطار القاهره الى مبنى أمن الدوله فى مدينه نصر وهى تحمل حقائبها وعلى البوابه الكبيره لمدخل المبنى أستوقفها أحد جنود الحراسه وطلبت مقابله احد المسئولين هنا . ودخلت الى العميد(س) وروت له كل ما حدث بالتفصيل فى صربيا وذكرت له حديث المحاضر زياد وحديثها مع البروفسير مازن وعن صديقتها عبير وسلمى وعن باقى الشباب المتوجدين هناك. وذكرت له عن حياه البذخ التى يغرونهم بها والاموال التى يوزعوها.
ابتسم العميد (س) وقال.....انه فعلا شاكر وفخور بك يا استاذه هدى .....انت فعلا مصريه أصيله وانت فخر لكل شباب مصر.....وعموما احب ان أطمئنك نحن متابعين كل حاجه هناك والموضوع تحت السيطره .ثم اضاف .....مكتبى مفتوح لكى فى اى وقت وارجو ان تتركى عنوانك ورقم هاتفك فى الاداره حتى نتمكن من الاتصال بك والعثور عليك بسهوله لو احتاجنا اليك وده رقم هاتغى الخاص ممكن تتصلى بى فى اى وقت تشائين.

جلست هدى تنظر من شرفتها التى تطل على ميدان التحرير حيث تعمل فى جريده الراى الحر بعد أكثر من ثلاث سنولت على عودتها من صربيا . وكان الميدان ممتلاء عن اخره وحيث جموع الشباب الثائر يهتفون

بسقوط مبارك والمطالبه برحيله . وكان صوت هدير الثوار ترج وتهز المبنى الذى تجلس به هدى رغم المسافه البعيده عن الميدان وكان بالشقه المجاوره مصورى قناه الجزيره وقناه س.ان.ان ينقلون الاحداث على الهواء مباشره وكان بصرهدى موزع بين التليفزيون والى الميدان وتثمرت حدقه هدى وهى ترى فتاه ترتدى بنطلون جينز وهى تحمل علم مصر وكانت تهتف ومن خلفها جمع من الفتيه يرددون نفس العبارات وكان خلفها مدام سلمي توزع العصائر والاطعمه على المتظاهرين وهى تضع كمامه على انفها تحميها من دخان القنابل المسيله للدموع.

راحت هدى تتأمل الميدان والموقف الحادث به وفكرت أن تتصل بالعميد(س) ولكنها تراجعت وقالت بالانجليزى.....تولايت.

النهايه

المؤلف/ هانى تادرس

الاسكندريه فى 2016/11/17